

بزوغ الهامش و أقول المركز

في ديوان الحشاش والحلازين لـ عاشور بوكلوة

دا عبد القادر لباشي - قسم اللغة والأدب العربي جامعة البويرة

الملخص :

Abstract/ Résumé:

The aim of this study is to retrace the influence of the margin & his aspects on a contemporary poem of Ashour Bukalwa titled: (the assassin & the snails) in which the author had chosen to use thresholds, symbols, intertextuality, as several esthetic techniques.

The influence of margin had for results the diminution of the center's voice & the disappearance of all kinds of devils or demons, after a hard struggle against the assassin which stands up as an idol of revolution

تسعى هذه المداخلة إلى تتبع حضور الهامش وطغيانه في مدونة جزائرية معاصرة للشاعر عاشور بوكلوة هي " الحشاش والحلازين "، وقد استعان في سبيل ذلك بتقنيات فنية وجمالية متعددة كالغواية العنكبوتية، والرمز والتناص والمفارقة.. وغيرها، وفي مقابل تلك الهيمنة خفت صوت المركز واختفت رموز النفوذ والشر، بعد صراع مضمّن مع الحشاش رمز التمرد والتحدي والثورة .

الكلمات المفتاحية :

الهامش . المركز . الراوي . الخيال . الشعرية

توطئة:

بعد أن كان خطاب الشعراء موجها إلى النخبة و ذوي القرار والملوك أصبح إلى عامة الناس ، و بعد أن كان حديثهم

عن نزعاتهم الخاصة تحول إلى همومهم العامة، وأوضاعهم الكبرى التي تؤرق المجتمع والناس؛ أي من الاهتمام بالمركز إلى الإيمان بالهامش. فقد أدركوا بنبوءاتهم أنّ الحلول القادمة، سوف يقودها هذا الهامش المنسي، إذ لم يعد يهّمه شيء، غير تغيير الأوضاع.



بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

وفي الشعر العربي الحديث والمعاصر صور كثيرة لبزوغ الهامش، واعتلائه سلم الأحداث الكبرى، ويمكن ملاحظة ذلك في أغلب القصائد عند صلاح عبد الصبور في "شوق زهران"، و السياب في "المومس العمياء" على سبيل المثال، فالهامشي - عادة - يكتسي صفات الشجاعة والتميز في الضمير الجمعي، « فالجماعة أينما كانت، تبحث عن الإنسان الذي تتجاوز قدراته السلوكية المتصلة بقيمة سامية معينة، وقدراته الفكرية التي تتصل بقيمة سامية أيضا، وفي الوقت نفسه تكون هذه القدرات ملبية لاحتياجات هذه الجماعة وليست شيئا فائضا عليها.»⁽¹⁾

لقد كانت هذه النماذج المقصية اجتماعيا رافدا هاما، التفت إليها الشعراء وأخرجوها من دائرة التهميش إلى دائرة الكينونة والوجود الإنساني، أليست كائنات ما تزال تصنع وهج الحياة، وتعيد إلينا بعضا من الحب و الجمال، وهذا خلافا لما رددّه بعض علماء النفس كسيغموند فرويد الذي قال: العامة لا تعرف أبدا عطش الحقيقة، إنها تطالب فقط بالأوهام.

1- تقديم الديوان:

الديوان الذي سوف تناوله من إبداع شاعر جزائري معاصر: عاشور بوكلوة. والديوان من الحجم الصغير يتوزع على سبع وتسعين صفحة، وحجمه الصغير ودار النشر غير الحكومية، ذات الإمكانيات المحدودة يفصحان عن ظروف الطبع والنشر القاسية في البلاد، فالتهميش يتعرض له المبدعون بشتى الأشكال والطرق.

ينتمي هذا النوع من النصوص إلى القصيدة الديوان⁽²⁾ أو القصيدة الطويلة، ذات النفس الملحمي، إذ تتميز بالتتابع السردى والإيقاع المتنوع، وأحيانا الخروج عن الوزن. وهذا التوجه في الكتابة الشعرية، والممارسة التجريبية، وتحطيم قداسة الوزن لهو تحطيم لمركز ما، على مستوى القراءة والتلقي؛ بحثا عن قارئ عادي ويومي، وقد لا يريد قراءة الشعر أصلا، وهذا اللعب بالوزن والتفصيلات أرادته الشاعر قصدا، لأن رسالة موضوعه الشعري أعمق من الشكل والمعمار، فالأمر جلل "حكاية الحشاش"، وقد لا تفيه كل المعاني الشعرية، فما بالك بشكلها ونسقها العروضي تحديدا.

يتمحور الديوان حول المأساة الوطنية خلال (العشرية السوداء أو الحمراء) وما أفرزته من تناقضات، وتأثيرات مريكة على الجزائريين عامة، ومن عايشوا وقائعها بالدم والنار والهلع خاصة، وبلغة رمزية، ذات إحالات تأويلية وإسقاطية شفافا، يلتفت الشاعر إلى كائنات منسية، ويصنع منها

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

رموزه الشعرية، وشخصه المركزية والهامشية وفق تحولات هذين المصطلحين بين البزوغ والأقول مع مسار الرؤيا الشعرية التي اعتنقها في هذه القصيدة الديوان.

لقد اختار الحلازون أو الحلازين؛ ليعبر دلالة الشر والفساد التي سكنت السلطة والتطرف أيضا، كما اختار الحشاش ليكون مخلصا و سيفا بتارا، يقضي به على رموز الدمار والشر، لما يمتاز به من سرعة فائقة، كالفدائي الذي لا يهاب الخطوب، ولا يخاف العواقب؛ فشارب الحشيش لا يعي ما يقوم به حتما.

جاء الديوان في سياق شائك وعصيب، و« في وقت تضاربت الأفكار والقيم وأصبحت الرؤيا أكثر ضبابية ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا بفعل التكفير ، بفعل المعطيات اليومية المتسارعة، بفعل المتناقضات ضاع الحق، وساد الشك وزال اليقين والظن بعض الباطل.(3)» ؛ إنها سخرية ناتجة عن استعصاء الحلول في زمن انقلبت فيه الأمور، واختلطت فيه المفاهيم على كل الأصعدة والمستويات.

2- غواية العتبات : حشاش يواجه حلازين:

يبدو أن (عاشور بوكلوة) يختار عناوينه بدقة مدروسة، ومقصدية فاعلة، فهناك قوة تكمن وراء إيلاء الشعراء المعاصرين خصوصا عناية بالغة لعناوينهم، ذلك أن العنوان هو « مجموع الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى من نصوص قد تظهر على رأس النص، لتدل عليه وتعيّنه وتشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف»(4) على حد تعبير (ليوه).

يظهر جليا وبوضوح الهامش معرفا بال التعريف (الحشاش)(5) في العنوان أولا، إذ يستفرد الحشاش بالابتداء، وكأنني بالشاعر يبحث له عن مسوغ قصدي يجعله فاعلا وعنصرا مهيما في الحدث الشعري الذي يسرده في مطولته الشعرية. وتأتي صفة الأفراد لترصع مكانته في هيئة البطل الشعبي، ولذلك تتجلى سمات البطل الشعبي على أكثر من صعيد شكلي ودلالي، كأن يأتي في الصدارة ويمتاز بالجرأة، ويتحرك نحو تغيير الواقع والحياة.

فالشاعر « يستعير رمزية الحلازين للتعبير عن الشر والفساد، وبالمقابل يستعير رمزية الحشاش للتعبير عن الخير والخلص، ويأتي تأسيس رمز الحلازين انطلاقا من كون العملية الجنسية عندها تدوم أكثر من ست ساعات ما يدل على انسياقها الشبقي، بالإضافة إلى أن الحلازون جبان يخفي في قوقعته بمجرد الشعور بالخطر، وأنه كثيرا ما يصدر لعابا وكأنه ينفث سموما، والحلازين معروفة بأنها تهلك الزرع. بينما يأتي تأسيس رمز الحشاش من مصدرين ؛ الأول هو التراث العربي

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

فقد كانت طبقة الحشاشين مشهورة بالفتوة والقوة واللامبالاة بالمخاطر، والثاني من البيئة الفلاحية، حيث إن الفلاح الذي تلتهم الحلازين مزروعاته، يأتي بالمنجل ليحش فيجد الحلازين بعضها هارب، والبعض الآخر يحتمي في القوقعة، وبمجرد أن يحصل على مزروعاته يقضي على الحلازين»⁽⁶⁾.

ويضيف بأن حرف الواو هنا ليس له تلك الدلالة النحوية العائدة إلى الاستتباع والمشاركة، فهي تخرج إلى صيغ جديدة تحكمها رؤية الشاعر، لتندلّ على معاني المواجهة و الصراع⁽⁷⁾.

فالشاعر يتحدى باستخدام هذا الحرف جموع الحلازين، ويبدو أن ورود الحلازين في هيئة الجمع له ما يبرره، فقد تكاثر الطزون الذي يرمز إلى الشر والفتك والقتل والتدمير في كامل النص عموماً، وكأن الحلازين تتناسل يوم إثر يوم. فمن يقدر عليها غير واحد (حشاش)، وينقض عليها، ويقف بالمرصاد في وجهها.

يواجهنا غلاف الديوان بجملة من الدلالات والإيحاءات، لا يمكن فصلها بأي حال عن النص ومعناه، إذ يتصدره في الأعلى اسم الكاتب بخط كوفي، وبلون أزرق رفع اسم الشاعر إلى سماء التفرد والإبداع، فالشاعر هو ملهمنا، لذا سيظل عالياً سابحاً في سماء المعرفة بأحوالنا وأمورنا، ثم يليه العنوان مكوناً من اسمين (الحشاش -الحلازين) وقد كُتبا بالحجم نفسه تقريباً وباللون الأحمر، حيث ارتفع الحشاش إلى نفس مستوى الحلازين جميعها إيذاناً بالصراع المحتمل حدوثه في أية لحظة، وخطورة المواجهة القادمة، وكأنها الموت الأكيد لأحدهما. و قد توسطتهما حرف الواو بلون أسود، وبحجم سميك في إشارة إلى المواجهة الشرسة بينهما.

كما توسّطت الغلاف لوحة تشكيلية تملؤها العيون المترصدة، والأقنعة والرموز والطلاسم الشيطانية، في صفحة الغلاف والصفحة الأخيرة من الديوان دلالة على سواد وضعنا الوطني وخطورته. ثم جاءت كلمة شعر وبلون أزرق في أسفل لتحديد النوع الأدبي، فبواسطة الشعر نغير واقعنا، ونحقق ذاتنا نحن الشعراء، أو هكذا قصد بوكلوة، فالشعر هو ثورة الكلمة، وسحر القلب، وهو كلام مؤسس لما يمنح الإنسان إنسانيته، كلماته لا تعبر، بمقدر ما تومي، لتقدم نفسها مفتوحة على جميع التأويلات الممكنة. الشعر بهذا المعنى كلام يهدد الواقع والمألوف، لأنه يوقظ الحلم والخيال. على حد إنشاء هيدجر⁽⁸⁾.

كما إن الغلاف الخلفي كان له دور بارز في تبيان رسالة الكتاب ومحتواه الموجه إلى القارئ، فمن خلال علاماته وإشاراته ورسومه تعمّقت دلالة الغلاف الأمامي السابقة، فقد دلّت

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

اللوحة التشكيلية الثانية على الرعب والخوف، الذي عاشته البلاد في مرحلة التسعينات، غير أنّ أملا يلوح في الأفق بواسطة حضور صورة الشاعر داخل خريطة الجزائر، بلون أخضر، يحمل تفاعلاً وخيرا رغم كل علامات العتمة والموت.

أمّا الإهداء الذي جاء كما يلي: (إلى الحلازين التي تنفث (عطرها) سمّها ثم تختفي في قوقعاتها.. أما كفاكم ؟ وإلى حشاش سيجئ غدا..) فيختزل توصيف الحالة الراهنة، برؤية استفزازية، أرادها الناص ساخرا من (الحلازين) الرامزة إلى المركز الذي يلقي بشروره المتنوعة على الآخرين؟ ولكنه يفتح نافذة للأمل في المستقبل، فيهدي نصه إلى (هامش) حشاش سوف ينتصر عليهم في الغد.

3- بزوغ الهامش:

للهامش في هذا النص وجوه كثيرة، وصور متعددة، ويمكن أن نعثر عليه في شكل أفنعة ورموز، وقد نلمسه في تعابير المفارقة، أو بلاغات الخطاب الشعري التي بنى الشاعر عليها نصه عموما. وعليه يتراءى بزوغ الهامش في ديوان (بوكلوة) من الصفحات الأولى تحديدا، يقول:

للمرة الأولى يجيء الحزن مبتسما

للمرة الأولى يجيء الحلم

مستديرا نحو نصر ما

للمرة الأولى يجيء حشاش

بين يديه خبز..وماء...⁽⁹⁾

تطفح الأسطر الشعرية الأولى بالأمل والخير المنتظر، فالحركة والدينامية تملأ الحدث الشعري وتغذيه، وهو ما تدل عليه الاستخدامات المتكررة للفعل المضارع "يجيء"، كما إن جملة "للمرة الأولى" انكفأت على استشرافات طال انتظارها، والمشهد كله يمثل ولادة بعد مخاض عسير " الحزن مبتسما " ، ولكنها ولادة النصر، والحلم المأمول، الذي يفاجئنا به الشاعر على غير العادة، فيزيح الدلالة العادية التي يرقبها القارئ؛ تلك المتمركزة عند أبطال معروفين، يحفظهم التاريخ والذاكرة الجماعية، ويتحول إلى هامش منسي، لا يخطر على بال شاعر نخبوي، أو قارئ للشعر المعاصر بما يحمله من ثقافة محفوظة ومعلومة مسبقا، إنه حشاش بزغ فجأة، فنزّي بزي الحاكم المرشد، والأب المنتظر، الذي يوفر الخبز والماء لأبنائه وشعبه؛ إن الخبز والماء علامتان

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

سيميائيتان، لهما دلالتها الاجتماعية، والثقافية والسياسية، إنها رمزان للحياة الكريمة، والعدالة الاجتماعية التي لم يحققها المركز (السلطة)، فأثر الشاعر أن يأخذ زمامها حشاش ما، فيوفرها لأترابه المنسيين والمهمشين، وما أكثرهم في وطننا.

ويسطع الهامش (الحلازون) في الصفحة السابعة، ولكنه يتحوّل هذه المرة إلى نبي، ويتشبه به بعيدا عن كل مزلق دينية، فالنبي هو مركز الإشعاع اليقيني الذي باستطاعته أن يعيد التوازن لدورة الحياة، ويطهر النفوس من الأحزان والمظالم، ويحقق أحلام المهوورين، يقول الشاعر:

هذه العيون عاشقة

وأنا لا أكره الشمس

يا لاهفا سر النخيل

هل نبي غير الحشاش

يعمر هذا الكون

يعدل هذا السر الجميل

قل للدموع التي في العيون

قل للذي يرقب أضواء القمر

أنّ شمس الحشاش

آخذة هذا الليل الطويل(10)

ينسجم الهامش(الحشاش) مع الجماعة (العيون العاشقة) في حلمها بالحريّة (الشمس)، ويدور هذا المقطع حول فكرة أساسية، أراد الشاعر ترسيمها بالحضور الطاعي للحشاش إنه الوحيد الذي يعرف السر الوجودي، يحمل الخلاص للجميع، فهو قادر، وبإمكانه القضاء على الحاضر المعتم البائس والظالم، المرموز له بعبارة "الليل الطويل"، والمرموز له في الصفحة الثامنة بالحلازين المريضة. والمشابهة ماثلة بين النبي والحشاش في كونهما يلتقيان في الفداء، فكلاهما يفدي نفسه لأجل الآخرين، غير أن المفارقة العجيبة تكمن في أنّ الثاني يغيب وعيه في أداء مهمته. فهل بلغ

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

هذا العصر ذروة الجنون، والانتحار ليشابه الشاعر بين حشاش ونبي، في مشابهة قد لا يقبلها عقل ومنطق؟

ويظل حوار الشاعر مع الحشاش ماثلا في أغلب مقاطع الديوان، ولكنه حوار يتأسس على استدعاء رموز تراثية، يتحد بموجبها بطل الشاعر مع مراكز بطولية في الذاكرة الجماعية والتاريخية، ففي الصفحة التاسعة ينادي الشاعر السندباد:

يا حشاش

يا آخر سندباد

عرفته البلاد(11)

إنّ استحضار الشخصية التراثية المشهورة "السندباد" هنا بكونه حشاشا ، وبطلا جديدا جاهزا ، يخوض المغامرات والأهوال والمحن في سبيل تحقيق المغنم والنصر في آخر الرحلة التي ينتظرها الجميع، فهو المحمل بالوعد والنبوءات؛ لهو تعبير عن ذلك الصراع الخفي بين الهامش والمركز، فالسندباد/ الحشاش لا أحد ينتبه إليه إلا قلة من الحالمين، فهو الغائب ماديا ، الحاضر متخيلا، والعكس بالنسبة للسلطة الغائبة في القلوب، الحاضرة في الجدران والهيكل .

تتمظر كثير من دلالات الهامش الذي يؤدي دور البطولة والريادة، ويتصدر المشهد في النص حين نقرأ المقاطع التالية :

قل لأميركم الذي في الخيال

إنّ شمس الحشاش ساطعة

كاشفة زيف التستر بالكمال

فأين الحراس...أين أعيان العصر؟

أين أبطال المحال

لا أحد غير الحشاش

بيديه خبز وماء

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

وفي عينيه ألف سؤال..

يخاطب الشاعر عموم الناس/ الرعية، إذ يُسقط أسطورة الأمير، ويدحر وجودها في الخيال، فالعصر الذي نعيشه ليس عصرا تاريخيا أو أسطوريا مشرقا بإمكانه كشف الحقيقة و جلاء هذا الواقع الموبوء، وفي المقابل يستدرك بالتأكيد على سطوع هامشه (الحشاش) الذي يكشف أوهام هؤلاء المغرر بهم، فلا أحد غيره يقدر على الإجابة عن الأسئلة التي حيرت الجميع.

4- أقول المركز:

نقصد بأقول المركز تراجعنا عن أداء وظائفه المنوط بها، فقد خرج من الشروط التاريخية والحضارية. وقد تجلى ذلك في عدة صور إيحائية وبلاغية جمالية، ومنها استحضار شخصية زرقاء اليمامة، وهي رمز الاستشراف والتخطيط الواعي، تمثل في النص النخبة أو الطبقة المثقفة، فالنخبة « هي الفئة الحية، المنتفذة، والمؤثرة في عملية السيطرة، والهيمنة، وذلك من خلال موقعها في مراكز اتخاذ القرار، صناعة الرأي العام، مجموعات الضغط، وتوجيه الثقافة والفكر، والاستشراف الدقيق»(12).

فالشاعر يدينها باعتبارها مركزا، تراجع عن أداء أدوار التغيير والتنمية الحقيقية؛ إنه يوظفها بطريقة تناصية، فيحركها في خط أفقي واحد ينسجم مع شخصية الحشاش في البداية، في مواجهة مباشرة مع الحلازين:

الحشاش يسأل البحر

عن زرقاء اليمامة

انتهت في الغياب

تجيب موجة هامسة

خائفة من وشايات الرمل

والوقت . . والجواب

قيل . .

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلووة .
د. عبد القادر لباشي

حين تحركت الغابة جنّت

فأرخها الموت

وشكاها للبحر حلزونٌ

فاحتمت بالغباب

قيل

كانت تُقَلِّم مياسمها

لصبيّ خالته ملاكا

منحته بهجتها . وريتها

فتحلّزن . . خابت . .

فضاعت أحلامها في الهباب

قيل

فقأ الحلازين عيونها

فانزوت تجمع بالأصابع

احتمالات الضياء

كي لا ينتهي الحب في النساء

وفي نزوات العتاب

قيل . .

كانت ترتّب زينتها

نامت . . لم تفق . .

وانتهت في الغياب⁽¹³⁾

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

تلفت كثرة الأسماء الانتباه مقارنة بالأفعال، مما يدفع إلى القول بتركيز عاطفة الشاعر نحو فكرة مهيمنة، رغم حضور الأفعال أيضا، فكلاهما يندمج ويعمل على انعاش حركة الصورة الشعرية، لأن « الحركة كامنة في الفعل والاسم على حد سواء، بل إنهما كثيرا ما يتظافران لخلق عالم يمور بالحركة» (14).

إن هذه الصياغات الاسمية والفعلية تقدم انتقادا لادعاء(السلطة) بكونها مركزا على أمل تراجعها وأقوله، بقصدية شفافة، ترتدي اللفظة الرمزية، لا تكاد تنتهي أو تتراجع، وتتجدد في كل مرة كناية واستعاريا، دالة على الإدانة والاحتقار والسخرية من هذا المحيط الضبابي الموبوء. هذا ما نلمسه في القصيدة/ الديوان على طول الخط تقريبا.

فالحشاش يدخل في أسئلة متعددة مع البحر، رمز المتاهة والمجهول عن زرقاء اليمامة، وهنا نلاحظ نقلا للحادثة السيرية من جغرافية الصحراء بكل تداعياتها العتيقة إلى جغرافيا المدينة والبحر في واقعهما المضطرب الجديد، تسيطر عليه الحلازين التي تفقأ عيني الزرقاء كما فعل حسان في السيرة العربية، لتغدو استعادة التراث الشعبي السيري - بالمماثلة - أقرب إلى التحقق الآن، وهكذا تتراجع الزرقاء في دورها الحقيقي، وهو تغيير الواقع بالعقل والحكمة.

يرتّب الشاعر أدواته الفنية لغاية توصيل رسالته إلى القارئ، وذلك حين يستخدم التقديم والتأخير في الجمل لغاية أسلوبية تطلبها الموقف الغامض للشاعر، الباحث عن انتظام في العواطف والقيم والآمال الكبيرة في بلده، والترميز الحاد الدال على التوصيف الدقيق للراهن، والذي تكشف عنه أفعال الخيانة والشر للحلازين الكثيرة تجاه الزرقاء المستقبل والعقل الواعي، متجلية في (الوشاية، تحلزن، ضاجعها)، إذ يكون دور الزرقاء في هذا المقطع الشعري شاهدا على الحدث فقط، فهي حاولت أن تصنع الحياة للشعب، وتقدم التضحيات ولكنها انتهت إلى اليأس والإحباط؛ لذا نرى الشاعر يفتح المجال في المقطع الموالي للحشاش بطلب منها، فهو في رأيه القادر على إنهاء المهمة والقضاء على الحلازين:

وزرقاء اليمامة تبحث

عن قامة في ارتفاع نبي

تبحث في هففات الصباح

عن حشاش يجيء من سمرة الليل

د. عبد القادر لباشي

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكولة .

ويمضي في مواكب النمل

إلى عيون أتعبتها سوالات أبي

فلا تبصر غير هذي الحلازين

تلون صدقاتها . .

تركب موجة عارية . .

تستبيح دمي . . وتبيغني للعويل..(15)

إنّ اجتماع الحشاش بالزرقاء، كانت غايته النظر إلى مستقبل الوطن في محنته التي ألمّت به من خلال إيجاد حل للواقع الدموي المأزوم، ولكن لكل منهما خطته في رؤية الواقع، فكيف يجتمع من لا يملك وعيا (الحشاش)، وبالتالي تمتك كل الوعي في الماضي (زرقاء اليمامة)، إنّها مفارقة مفاجأة، تصدم المنثقي وتغريه ، فهي تنهض على إنتاج معنى مخالف لما هو منطقي ومألوف، إذ يتحوّل الوعي إلى لا وعي والعكس. فينتصر الحشاش المنافع الذي لا يحسب عواقب الأمور على الزرقاء برجاحة عقلها ونبوغتها، إنّها حالة أشبه بلغز، يصعب فكّ طلاسمه.

قبل الختام ثمة مقطع شعري عنونه بوكولة بـ بمخرج إضطراري" يقول فيه :

شكرا لباريس التي علمتنا دروس الفراش

ولعب الكراسي...والخطب

اطمئني حفظناها جميعا عن ظهر قلب

وعن قريب نجربها

ونوزعها على جميع العرب

شكرا لباريس التي أعطتنا الحياة كلها

وأخذت فقط ما تيسر من ذهب (16)

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

فالشاعر يسخر، يزدري، يغمز، يحتقر، فيه من المركز وسلطة القرار "باريس"، إذ يستخدم المدح الخادع، بمفارقة تركز على التظاهر بتبني وجهة نظر الآخر، و الاستئناس به، وتعداد عطاياه الكثيرة. إن هذا المخرج الاضطرابي ركبه الشاعر أيضا، فالهامش دائما ما يفكر في الخروج الاضطرابي، أليست حياتنا نحن الجزائريين كلها مخارج اضطرابية نعيشها على الدوام.

خاتمة

سعت هذه المحاولة البحثية إلى مقارنة صورة الهامش والمركز في مدونة شعرية جزائرية، من خلال تتبع تجلياتها عبر لغتها الشعرية، وتوظيفاتها القناعية و الرمزية و التناسية المختلفة.

وانطلاقا من رغبتنا الملحة في الاهتمام بالطبقات الهامشية المختبئة - والتي هي إحدى التفاصيل المهمة المكونة للنصوص الشعرية المعاصرة - فإننا نزعم اقتربنا منها في هذا النص بالذات، على أمل أن ترى نصوص وتجارب أخرى التفات دراسية وبحثية وقرائية جادة، لأن الساحة الشعرية عندنا تعجُّ بعدد وافر من الشعراء الذين التفتوا إلى في نصوصهم للهامش / المقصي و المنسي، ونذكر على سبيل المثال: عثمان لوصيف في " المتغابي"، والأخضر فلوس في "رقية" وعلي مغازي في " جهة الظل"، و رضا ديداني في "هيبه الهامش" كذا ما كتبه الطيب لسوس، و بويكر زمال، وغيرهم.

الهوامش

1-المصدر المعتمد في الدراسة :

عاشور بوكلوة، الحشاش والحلازين، دار أمواج، سلسلة الأمواج الأدبية 01، سكيكدة، الجزائر، د/ط، 2009.

2-المراجع:

أ) الكتب:

- 1- إبراهيم أحمد ملحم ، التراث والشعر: دراسة في تجليات البطل الشعبي، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2010
- 2- أحمد زهير رحاحلة، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012 .

بزوغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكلوة . د.عبد القادر لباشي

3- برنارد لويس، الحشاشون ، تعريب محمد موسى، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ط1،
1400 هـ/1980 م

4- رايح ملوك، ريشة الشاعر: بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط، ميم
للنشر، الجزائر، ط1، 2008.

5- رشيد يحيوي، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجر النصي، أفريقيا للنشر ،
الدارالبيضاء، 1998

6- طواع محمد ، شعرية هيدخر: مقارنة انطولوجية لمفهوم الشعر، منشورات عالم التربية،
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2010

7- فرهاد دفتري، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين، ترجمة سيف الدين القصير، دار
المدى، دمشق، الطبعة الثانية 2004.

ب) المقالات والمواقع الإلكترونية:

1- أحسن ثيلاني، توظيف التراث في ديوان (الحشاش و الحلازين) للشاعر عاشور بوكلوة،

منشور إلكتروني على الموقع: <http://www.aswat-elchamal.com>

2- حيدر إبراهيم علي، النخبة والتغيير في المجتمعات العربية، مجلة التنوير، تصدر عن
مركز التنوير المعرفي، الخرطوم - السودان، العدد التاسع ، يوليو، 2010.

3- عبد العزيز شويط، الأزمة الجزائرية في عيون عاشور بوكلوة الشعرية بين الأفق الفني
ووعي الانتماء، منشورة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري بين
خطاب الأزمة ووعي الكتابة ، المركز الجامعي بالوادي، مارس 2009.

الهوامش :

(1) - إبراهيم أحمد ملحم، التراث والشعر : دراسة في تجليات البطل الشعبي، عالم الكتب الحديثة، إربد- الأردن،
الطبعة الأولى، 2010، ص 34.

(2) القصيدة الطويلة أو المطولة هي نمط شعري يمتاز بالطول من ناحية البناء الشكلي، ولم يعد الطول إلا مظهرا
خارجيا، فهناك سمات فنية قوية ركز عليها النقاد مثل المنحى الدرامي والفكرة المركبة، والإيقاع . ولقد عرفت
إشكاليات حول تسميتها، وبنيتها، وموضوعاتها، ولكن الأمر المنفق عليه تقريبا هو بنيتها الطويلة ونفسها الدرامي،
يراجع حول إشكالات هذا المصطلح: أحمد زهير رحاحلة، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد
للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012، من ص 21 إلى 41.

بزرغ المركز وأقول الهامش في ديوان الحشاشين والحلازين لعاشور بوكولة . د.عبد القادر لباشي

(3) - عبد العزيز شويط، الأزمة الجزائرية في عيون عاشور بوكولة الشعرية بين الأفق الفني ووعي الانتماء، منشورة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري بين خطاب الأزمة ووعي الكتابة، المركز الجامعي بالوادي، مارس 2009، ص 150.

(4) - رشيد يحيوي، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، أفريقيا، الدار البيضاء، 1998، ص 115.

(5) - الحشاش أو طائفة الحشاشين أو الحشاشون أو الحشيشية أو الدعوة الجديدة كما سمّوا أنفسهم هي طائفة إسماعيلية نزارية، انفصلت عن الفاطميين في أواخر القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين اللهمن جاء من نسله، واشتهرت ما بين القرن 5 و7 الهجري الموافق 11 و13 الميلادي، وكانت معاقلم الأساسية في بلاد فارس وفي الشام بعد أن هاجر إليها بعضهم من إيران. أسس الطائفة الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة الموت في فارس مركزاً لنشر دعوته؛ وترسيخ أركان دولته. كانت الاستراتيجية العسكرية للحشاشين تعتمد على الاغتيالات التي يقوم بها "فدائيون" لا يأبهون بالموت في سبيل تحقيق هدفهم. حيث كان هؤلاء الفدائيون يُلقون الرعب في قلوب الحكّام والأمراء المعادين لهم، وتمكنوا من اغتيال العديد من الشخصيات المهمة جداً في ذلك الوقت؛ مثل الوزير السلجوقي نظام الملك والخليفة العباسي المسترشد والراشد وملك بيت المقدس كونراد. قضى المغول بقيادة هولاكو على هذه الطائفة في فارس سنة 1256م بعد مذبحه كبيرة وإحراق للنقلا والمكاتب الإسماعيلية، وسرعان ما تهاوت الحركة في الشام أيضاً على يد الظاهر بيبرس سنة 1273م . ينظر: الحشاشون، برنارد لويس، تعريب محمد موسى، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ط1، 1400 هـ/1980 م . وخرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين لفرهاد دفتري، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى، دمشق، الطبعة الثانية 2004.

(6) - أحسن ثيلاني، توظيف التراث في ديوان (الحشاش و الحلازين) للشاعر عاشور بوكولة، منشور إلكتروني على الموقع: <http://www.aswat-elchamal.com>

(7) - ينظر: المرجع نفسه.

(8) - طواع محمد، شعرية هيدخر: مقارنة انطولوجية لمفهوم الشعر، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص 83.

(9) - عاشور بوكولة، الحشاش والحلازين، دار أمواج، سلسلة الأمواج الأدبية 01، سكيكدة، الجزائر، 2009، ص 6.

(10) - المصدر السابق، ص 8.

(11) - عاشور بوكولة، الحشاش والحلازين، ص 9.

12 - حيدر إبراهيم علي، النخبة والتغيير في المجتمعات العربية، مجلة التنوير، تصدر عن مركز التنوير المعرفي، الخرطوم - السودان، العدد التاسع، يوليو، 2010، ص 113.

(13) عاشور بوكولة، الحشاش والحلازين، ص 69.

(14) رايح ملوك، ريشة الشاعر: بحث في بنية الصورة الشعرية وأنماطها عند الماغوط، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2008، ص 178-179 .

(15) عاشور بوكولة، الحشاش والحلازين، ص 79-80.

(16) - المصدر السابق، ص 97.